

مجتمع نشيط ورايكيالي . ولم يطل بي الوقت حتى أدركت ان هذه الصورة مضللة خادعة الى حد ميثوس منه . كذلك المزيج المقلب من ضوء الشمس والصحة والنشاط والغريزة الصرفة وهلم جرا كان غطاء مغزليا بصورة بارمة مكررة يهدف عن طريق الخداع ، الى كسب التأييد والدعم من اليهودية العالمية ، اروع ابنائها ، والا هم من ذلك : جيوبها . وكان لذلك الغطاء هدف اضافي . فهو يخدع المفكرين في الغرب . والا امر الادهى من ذلك هو انه يطمس صرخة فلسطين وفي الوقت ذاته يقدم لمصنعات زاهية الالوان لصناعة اسرائيل السياحية.

وكانت حرب ١٩٦٧ هي التي جعلت الكثيرين منا في الغرب يقفون وجها لوجه امام الحقيقة البشعة للقضية الفلسطينية . فبين ليلة وضحاها جعلتنا الحرب نعي شعبا متسيا . وقمت بأول زيارة الى المناطق المحتلة عام ١٩٦٨ ، وتساءلت كيف نستطيع نحن ، في الغرب ، ان نرفع رؤوسنا بوجود مثل الاوضاع السائدة في غزة . لقد اختبرت الفقر والخزي في جنوبي افريقيا ، ولكن لا يوجد شيء تمكن مقارنته بهذه المعضلة الفلسطينية . فالتوزيع الجوهري لامة من الناس بأسرها يجعل هذه القضية أكثر من مجرد مشكلة لاجئين ، او نتيجة بشعة من نتائج الحرب . واعلم ان غزة ، ومنظر بلدة الاشباح التي كانت ذات يوم مخيم لاجئي أريحا ، روع الكثيرين من اليهود الاسرائيليين الشبان وأبعد الضباب عن أعين الكثيرين من الصهاينة الكرمسين . ولم يكن منظر مخيم اللاجئيين ورائحته هما اللذان حطما الوهم ، بقدر ما كان الإدراك بأن هذه الحقائق لطالما ظلت اكتب المدرسية والمؤسسية الصحافية الاسرائيلية من شأنها او طمستها ، كما انها كثيرا ما لقيت الاهمال والتجاهل في الغرب .

وقمت بزيارة المناطق المحتلة ثانية عام ١٩٦٩ وعام ١٩٧٠ وعام ١٩٧١ ، وكانت آخر مرة عام ١٩٧٢ ، قبل حرب تشرين (اكتوبر) بأقل من شهرين . والكتاب الذي كلفنتي غرانادا بتأليفه يشمل ويرمز الى تورط الناصي في الحالة وتوروي المتزايد . ونتيجة لذلك ستكون طبعتي الثانية اقوى واكثر حرامة . لقد وجه الي نقد شديد لكوني معتدلة اكثر من اللازم في كتابي ، ومعنية اكثر من اللازم في عرض امتداد واسع من الآراء المتعارضة . وانتقدني صهاينة متحمسون انتقادا

وايرلندا الشمالية ، وقد حضرت أنا حفلة خاصة (اقامتها منظمة امنستي Amnesty) حيث عرضت هذه الانلام الواحد تو الاخر . وقد عرض الفريق نفسه لخطر لا تعد ولا تحصى لجمع هذه المواد ، وكثيرا ما كان اعضاؤه يفعلون ذلك منتحلين صفة السياح وبمستخدمين كاميرات ٨ ميليمتر الصغيرة . لكن لغرانادا ، كما للغارديان وللصندي تايمز ، مجموعة مختلفة من القواعد والمقاييس للمشكلة الفلسطينية .

أود أن يكون من الواضح تماما انني اتكلم بصفتي صحافية مستقلة . لقد عملت في هيئة محرري صحيفة التايمز (الاخبار التجارية) لمدة سنة ، وعملت ، كذلك ، في مجلات شهوية واسبوعية . وقد حدث تورط في الشرق الاوسط بحض الصدفة . فانا غير مرتبطة بأي من الجماعات الضاغطة المختلفة التي تؤيد القضية في بريطانيا ، اذ أشعر أنه من الضروري للصحافي ان يكون مستقلا ، ولا يريد ان أبشر للبهتدين . وشأنني شأن الكثيرين من زملائي ، قاومت الانهبات التي وجبتها تلك الجماعات الضاغطة حول الرقابة المزعومة على المواد التي اما تنتقد السياسات الاسرائيلية أو تكشف عن المحنة الفلسطينية ، طولا وعرضا . فقد وجدت هذا الانتقاد مائعا ، وتدمرا تتقاسمه الجماعات الضاغطة جميعا ، الى ان حدث الامر معي .

لاكن صريحة حول تورط في حالة الشرق الاوسط . لقد ابتدأت بأوهي المعلومات عنها ، وكنت مليئة بالامتنادات والافكار الخاطلة التي تمثل النظرة الغربية الكلاسيكية . وليس لعائلتي اية صلات (عرقية او عسكرية او دبلوماسية) بالشرق الاوسط ، لذا ابتدأت حول الموضوع من الصفر . غزت اولاً اسرائيل عام ١٩٦٦ عندما كنت في الثانية والعشرين ، سريعة التأثير ، وأقامت تربية غربية تربط الاستكشاف والمدنية والثقافة بالانسان الابيض . وصورة اسرائيل قوية في الغرب ، ولكننا لا نعلم شيئا عن الفلسطينيين . وقد زرت اسرائيل كالكثيرين غيري من الجوالين الشبان ذوي الميول الاشتراكية .

اعتقدنا (وكما مكدوعين !) ان اسرائيل تقدم اشتراكية حقيقية ، أرضا يعيش عليها الناس تربيين من التراب ، وتنتهج فيها النساء بالمساواة ، ويشعر فيها القوم من خلفيات عديدة بأنهم جزء من